

الحج ليس للحجاج فقط

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ،



وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،

وصوم رمضان ، وحج البيت)رواه البخاري ومسلم

ومع أن الحديث مشهور، ويحفظه كثير منا إلا أنه يحتاج إلى وقفة طويلة للتأمل....

لماذا الحج بالذات؟!

الحج عبادة لا يكلف بها المسلم أو المسلمة إلا مرة واحدة في العمر كله، وفي حال الاستطاعة.. ومعنى ذلك أن من لا يستطيع الحج فلن يُفرضَ عليه أدائه.. وبالتالي فإن ملايين المسلمين على مرّ العصور لم ولن يحجوا لعدم الاستطاعة



وحتى من كُتب لهم الحج.. فالكثير الغالب منهم لم يحج إلا مرة واحدة في عمره كله

ومن ثم لا ينفق الإنسان خلال هذا العمر الطويل في هذه العبادة إلا أسبوعين أو ثلاثة..

كم يمثل ذلك من العمر كله؟!

فلماذا يختار الله هذه العبادة العارضة في حياة المسلم لجعلها ركناً من أركان الإسلام، ؟!

لا بد أن هناك فوائد تتحقق في الحج تؤدي إلى تغيير في حياة المسلم

[ليشهدوا منافع لهم..]

الحج يفيد الأمة كلها، ومن ثم فإن الله تعالى جعله ركناً أساسياً ينبني عليه الإسلام.

و الله عز وجل يقول: [وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْهَا، وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ]..

في الحج إذن منافع، وكلمة منافع كلمة شاملة عامة، لا أعتقد أنها يجب أن تُقصر على المنافع التجارية والمالية فقط،



منافع الحج

المنفعة الأولى: التذكير بيوم القيامة:

الحج يذكر الأمة كلها - الحاج وغير الحاج - بيوم القيامة؛ فوجه الشبه كبير جداً بين الحج ويوم القيامة؛ الحاج يمرّ بأكثر من موقف يذكره بيوم القيامة.

كيف يذكرنا الحج بيوم الحساب؟

إننا نتذكر يوم الحساب من أوّل خطوة نخطوها نحو الحج ...

يحرص المسلم على جمع المال الذي يريد أن يؤدي به الحج من الحلال، ويدفع هذه المبالغ الكبيرة وهو في غاية السعادة لأنه سيؤدي فريضة الله سبحانه وتعالى.. ثم يسترضي كل من يعرفهم ، ويعتذر لمن أساء إليه، ويؤدي ما عليه من ديون، وكأنه بذلك يستعد تماماً ليوم الحساب، يجمع أهله.. يوصيهم، والناس يودعونهم قبل سفره.. تُذكره، وتذكر الناس جميعاً أن هناك يوماً سيخرج المرء فيه بلا عودة!!) كل نفس ذائقة الموت

حتى ملابس الحج بالنسبة للرجل تذكره.. وتذكر الناس جميعاً بيوم القيامة؛ ففوق ما فيها من شبه بالكفن، ترى أن بعض جسد الحاج يتعري؛ لكي يتذكر الناس جميعاً العري التام يوم القيامة، وهذا يذكرنا بالصورة التي نكون عليها يوم الحساب...



روى البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ.. يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَاكَ

ونستطيع أن نفهم ونتدبر لماذا بدأ الله تعالى سورة الحج بالتذكير بيوم القيامة: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ]

المنفعة الثانية ترسيخ فكرة الأمة الواحدة عند المسلمين:

الحج مؤتمر إسلامي عالمي مهيب، يلتقي فيه المسلمون من كل أقطار الدنيا، فيُغرس في القلوب شعور الأمة الواحدة، وهذه ولا شك من أعظم منافع الحج، وخاصة في هذه الأزمان التي تمرّ فيها الأمة بحالة تفكك شديد، نسأل الله عز وجل أن يوحد صفوف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها...

المنفعة الثالثة فتح صفحة جديدة مع الله عز وجل:

فالحاج يرجع من حجه كيوم ولدته أمه، مهما ارتكب من الذنوب والمعاصي والآثام قبل حجه، وهذا الأمر يعطي أملاً كبيراً للكثير من عصاة المسلمين الذين أسرفوا على أنفسهم،



المنفعة الرابعة: اتباع أوامر الله عز وجل:

إننا نرى المؤمن من خلال تفاعله مع مناسك الحج، لا يشترط معرفة الحكمة لكي يتبع منهج الله عز وجل، فالمؤمن لا يسأل: لماذا الطواف؟ ولم كان سبع مرات؟ لماذا أقبل الحجر؟ لماذا الحلق؟ لماذا هذه الهيئة في اللباس؟ لماذا الرمي بتسع وأربعين أو بسبعين من الجمرات؟... تفاصيل كثيرة قد لا تجد إجابة عن معظمها، لكن المؤمن دائماً يردد: سمعنا وأطعن، إنها التربية على السمع والطاعة لله سبحانه وتعالى دون أدنى شك أو تردد...

المنفعة الخامسة: المساواة بين طوائف المسلمين:

إن أكرمكم عند الله أتقاكم فالكل سواسية كأسنان المشط، الغني بجوار الفقير، الحاكم بجوار المحكوم، الكبير بجوار الصغير، المصري بجوار الباكستاني بجوار النيجيري بجوار الشيشاني بجوار الفلسطيني... لا قبلية ولا عنصرية..

المنفعة السادسة: هي التذكير بالحرب الدائمة والمستمرة مع الشيطان:

فعلى الحاج عند رمي الجمرات أن يتذكر هذا المعنى، إن الحرب مع الشيطان قديمة قدم البشر، وباقية ما بقيت الدنيا: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، وفي هذا تذكير للمؤمنين بعدوهم القديم، العدو الأكبر الذي يعدّ لهم كل يوم ألفَ عُدَّة، ويغفل الكثير من المسلمين عن هذا العدو اللدود المتربص وذلك عندما يرى الناس هذه الحشود الهائلة وهي ترحم الشيطان، ونسأل الله عز وجل أن



ينصرنا عليه في كل الميادين...

المنفعة السابعة: ترسيخ معاني التضحية بكل أنواعها:

التضحية بالمال؛ و التضحية بالوقت الطويل، والجهد الكبير.. والتضحية بمتع الحياة المختلفة..

المنفعة الثامنة: أن يتعلم الناس من خلال الحج خلق التقشف:

ففي الحج تدريب عملي على البعد عن ترف الدنيا ونعيمها، من ملابس ومأكل وغير ذلك من الأشياء، ومن ثمَّ فهؤلاء الذين يسرفون في النفقات وما يسمَّى بالحج الفاخر، والمبالغ الباهظة التي تُنفق دون الحاجة إليها.. هؤلاء لم يفقهوا هذا الدرس جيداً، ولم يدركوا هذه المنفعة العظيمة من منافع الحج، إن الأمة التي تتربى على الترف والميوعة لا يُكتب لها النصر على الإطلاق...

المنفعة التاسعة من منافع الحج: أنه يعلمنا لين الجانب، وهدوء النفس، وترك الجدل:

الله عزّ وجل يقول: فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ، فلو أن الأمة تربّت على أن تكظم غيظها، وتصلح ذات بينها، وتتجنب الجدل، فإن هذا – ولا شك – سيؤدي بها إلى نصر الله وتمكينه...

منقول من محاضرة للدكتور راغب السرجاني بتصرف

